إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الخامسة – العدد التاسع عشر – خريف ١٣٩٤ش / أيلول ٢٠١٥م
صص ٨٣ ـ ٦٣

دراسة الرموز التمثيلية لقصّة "السّمكة الصغيرة السوداء" على ضوء المدرسة الرومنسيّة

تورج زينی‌وند (الكاتب المسؤول)*
جهانگير اميری**
محمد فارغی‌شاد***

الملخّص

تُعدُّ قصّة "السّمكة الصغيرة السوداء" لصمد بهرنگی بمجملها قصّة تمثيليّة تُعبّر عن أمور واقعية نلمسها فی واقع الحياة. فقد تشكّلت نواة القصّة ولحمتها من الرموز الّتی أحاطت بها حبكة القصة. لقد صمّم بهرنگی قصّته فی إطار الرومنسيّة حيث تجلّت فيها مبادئ الرومنسيّة بوضوح كالحثّ على القيام بتغيير الواقع بعزيمة وثبات والتغنّی بالقيم الإنسانية والحرية إلّا أنّ رومنسيّة بهرنگی لا تحيد عن الواقعية لتنزلق فی العبثية والمثالية والوهميّة بل إنّ قصّته تدور فی فلک الواقعية هادفة إلى إثارة الأجيال على إصلاح وتحسين الواقع المعاش. يرمی هذا المقال وبالاعتماد على دراسات تبنی على الأسلوبية على الصعيد الشكلی والدلالی مستعيناً بالمنهج الوصفی – التحليلی إلى دراسة أهمّ وأشهر قصّة كتبها القاصّ المعاصر الشهير صمد بهرنگی مسلّطاً الأضواء على الدّلالات الرمزية الّتی تحملها القصّة فی طيّاتها من منظور رومنسیّ وذلک فی ضوء معطيات مدرسة التمثيل الرمزی والتركيز على الخصائص الفنيّة الّتی تتميّز بها القصّة. ومن أهمّ النتائج الّتی توصّلنا إليها عبر المقال هی أنّ الرومنسيّة فی قصّة السّمكة السوداء ضربت جذورها فی بيئة عاشها كاتب القصة واستلهم منها عناصرها الدرامية والرمزية حتّى جاءت القصة صورة تمثيلية مقتضبة عن الواقع الّذی رسمها الكاتب.

المفردات الدليلية: الأسلوبية، الرومنسيّة، التمثيل الرمزی، أدب القصّة، صمد بهرنگی، السّمكة الصغيرة السوداء.

---

*. أستاذ مشارک للغة العربية وآدابها بجامعة رازی، كرمانشاه، إيران
**. أستاذ مشارک للغة العربية وآدابها بجامعة رازی، كرمانشاه، إيران
***. خريج فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة رازی، كرمانشاه، إيران
T_Zinivand56@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة پرچگانی
تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٩/٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٤/٤/٢٧ش

١- المقدمة:

التمثيل الرمزى آلية فنية أو مدرسة أدبية يحاول فيها الأديب الارتقاء بالنصّ من مستوى المباشرة أو التصريح إلى مستوى الرمز وصولاً إلى الإثراء الدلالى فى النصّ الأدبى. (پورنامداريان، ١٣٨٩ش: ٤٦) وفى هذا السياق لقد استخدم عدد غير قليل من الأدباء الآلية نفسها للتعبير عن متطلّبات العصر وحاجاته نظراً للطاقات التعبيرية الهائلة التى يمتلكها الأسلوب التمثيلى. (شيرى، ١٣٨٢ش: ١٥٨) وممّا حثّ الأدباء على استخدام أسلوب التمثيل الرمزى فى آثارهم هو أنّ هذا الأسلوب يمنح الآثار الأدبية القابلية لمواكبة العصر وتلبية متطلّباته ويكتب لها الخلود عبر الأجيال. (شريفيان، ١٣٨٦ش: ٢٦) نظراً للطاقات التعبيرية الهائلة الّتى يمتلكها أسلوب التمثيل الرمزى، فقد شبّهه البعض بالبحر الخضّم الذى لا يستنفد نبعه ولا ينضب معينه. (شميسا، ١٣٨٩ش: ٢٢) وفى السياق نفسه لقد وظّف الكاتب القاصّ الإيرانى الشهير "صمد بهرنگى" لغة التمثيل الرمزى فينمط قصصى رائع لخلق آثار قيّمة عذبة تقع فى النفوس أحسن موقع وتدخل فى القلوب دون استئذان. استلهم الكاتب من المدرسة الرومنسية ونهل من منهلها حتّى الارتواء كما أنّه أفاد من القصّة لإبلاغ صوته إلى القارئين. زد على ذلک أنّه استغلّ لغة الحيوان الّتى تمثّل مختلف أطياف المجتمع وخير مثال على ذلک هو قصّة السمكة الصغيرة السوداء الّتى يمكن اعتبارها صورة رمزية عن المجتمع الإيرانى الرازح تحت وطأة الاستبداد الملكى. (عباسى، ١٣٩٠ش: ١٥٦) وقد تضاربت آراء الناقدين فيما يتعلّق بأسباب اختيار الكاتب لأسلوب القصّة ومدى نجاحه فى ذلک. (مير عابدينى، ١٣٨٧ش: ج ٢، ١٧٠) إلّا أنّه لا مراء فى أنّ الأسلوب الّذى اختاره بهرنگى نجح فى اجتذاب الكثير من القرّاء ما يدّل على نجاح الكاتب فى اتّجاهه الأدبى. (عباسى، ١٣٩٠ش: ١٤٩) كان بهرنگى يكتب قصصاً للأطفال ويوظّف فيها الأدب الشعبى الّذى يحرّض المخاطبين على التعامل مع مجريات الساحة وتحمّل المسؤليات الاجتماعية. وفى السياق ذاته يمكن القول إنّ أشهر قصّة كتبها هى قصّة السمكة الصغيرة السوداء حيث لاقت إقبالاً وتشجيعاً كبيرين لدى الخاصة فضلاً عن العامة لِما تتمتّع به هذه القصّة من روعة المضمون وجودة الحبكة والاهتمام البالغ بنشر الوعى والثقافة فى

ربــوع الوطن وزرع روح المغامرة والتحدّى فى بنى جلدته. (نصرت زادگان، ١٣٨٦ش: ١٨٠) أكــبّ النقّاد على البحث حول جوانب القصّة التمثيلية وطابعها الرمزىّ إلّا أنّه لم يتمّ بعد دراسة هذين العنصرين الهامّين فى إطار مدرسة الرومنسية. قمنا بدراسة التأثير المتبــادل بين القصّة نفســها والبيئة الّتى نشــأت فيها القصّة وهــى بطبيعة الحال بيئة ما قبل انتصار الثورة الإســلامية حيث كان يسودها نظام الشاه الفائت و هو من الأنظمة الاســتبدادية التى لم تحترم حرّية التعبير والتفكير للشــعب الإيرانى. (شهبازى، ١٣٧١: ١٣٥) ولعلّ للاستبداد البهلوى دوره وأثره فى حثّ بهرنگى على اعتماد أسلوب التمثيل الرمزى فى قصصه. إذ إنّ الأنظمة الدكتاتورية لا تحتمل عادةً انطلاق الأصوات المعارضة ولا تتردّد فى إخفات الأصوات وإســكاتها بأىّ شــكل أو آخر ولا ننســى أنّ السجون والزنزانات فى عهد النظام السابق كانت مكتظّة بسجناء الضمير والحرية. (المصدر نفسه، ٢١٤) من هذا المنطلق نحاول فى هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

١- بم تتميّز رومنسيّة قصّة بهرنگى؟

٢- ما هى أبرز الدلالات الرمزية الّتى تحملها القصة؟

٣- ما هى أهمّ الرسائل الّتى يريد كاتب القصّة إيصالها إلى القارئين؟

٢- خلفية البحث

بما أنّ لصمد بهرنگى مكانة ســامية وشهرة واسعة فى الأوساط الأدبية، أخذ الأدباء والناقدون يهتمّون بدراسة ونقد آثاره اهتماماً بالغاً. وقد أخذت قصة "السّمكة الصغيرة السوداء" نصيب الأســد من البحوث نظراً لقيمتها الفنّية وأهمّيتها الأدبية لدى أصحاب الفنّ. فقد أصبحت القصّة موضع عناية الباحثين حتّى إنّها ترجمت إلى عديد من اللغات الحيّة ممّا يعكس نجاح الكاتب فى إيصال صوته الإنسانى للمخاطبين فى نطاق واسع. لقد عثرنا على الدراســات الّتى أنجزت حول القصّة لا يمكن استعراضها فى هذه العجالة إلّا أنّ الجانب الرمزى والرومنسى فى القصّة أمر لم يتطرّق إليها الدارسون وإذا كان هناك آثار عنيت بهذا الموضوع فإنّها قليلة جدّاً. ومن أهمّ البحوث الّتى تناولت البعد الرمزى والتمثيلى للقصّة ما نذكرها كالتالى:

١- "بررسی نشـانه – معناشناختی ماهی سیاه کوچولو" (باللغة الفارسية) (دراسة سـيميائية معنوية للسـمكة الصغيرة السـوداء) لكاتبها "على عباسـی". حاول المؤلّف فی مقالـه هذا التعبير السـيميائی عن القصّة وكما يبدو أنّه يدخل فی إطار الدراسـات السيميائية ولم يتناول الجانب التمثيلی أو الاتّجاه الرومنسی للقصّة.

٢- "رمز و داسـتانهای رمزی در ادب فارسی" (باللغة الفارسية) (الرمز و القصص الرمزية فی الأدب الفارسـی) لمؤلفها "تقی پورنامداريان". لقد قدّم الكاتب فی كتابه هذا دراسات مفيدة قيّمة حول الرمزية بصورة عامّة ولكن ما ذكره حول رمزية قصة بهرنگی قليل جدّاً لا يسمن ولا يغنی من جوع.

٣- كتاب "صد سال داستان نويسی در ايران" (مرور مائة عام على كتابة القصة فی إيران). الكتاب كما يبدو من عنوانه دراسـة تشتمل على نظرة سريعة إلى كتابة القصة بما فيها آثار صمد بهرنگی. إذاً لم يتمّ فی الكتاب التركيز على الجانب التمثيلی والرمزی لقصة السمكة السوداء الصغيرة بل إنّ معظم جهوده دخلت فی مصبّ الدراسات الأدبية خلال مائة عام بشكل عامّ.

بنـاءً على ما ذكرناه تواً يمكـن القول بأنّ مقالنا هذا يتميّز عـن المقالات المذكورة أعلاها بميزات منها:

أوّلـاً: يرمی المقال إلى دراسـة القصة من منظور رومنسـی محاولـاً تطبيق الملامح الرومنسية الرئيسة عليها.

ثانياً: يقوم المقال بدراسة وتحليل كافّة شخصيات القصة من منظار رومنسی وتمثيلی بحيث لا يقتصر البحث على بطل القصّة كما هو الحال فی المصادر السابقة.

على أيّة حال فإنّنا توخّينا فی هذا المقال إعطاء دراسة شاملة لقصة السّمكة الصغيرة السـوداء فی الجانب التمثيلی ومن رؤية رومنسية. نأمل أنّها تملأ الفراغ الّذی لمسناه فی هذا المجال راجياً أن تكون إضافة قيّمة مفيدة إلى الدراسات الّتی تمّت لحدّ الآن للقصّة.

٣- وقفة قصيرة مع سيرة الكاتب

بما أنّ لمعرفة سـيرة الكاتب دوراً بنّاءً ومؤثّراً لاستيعاب أفكاره وتلقّی رسالته لدى

المخاطب نذكر فيما يلى نبذة قصيرة عن حياته باختصار وإيجاز شديدين.

ولـد صمد بهرنگى عام ١٣١٨ هـ ش فى "تبريز" فى أسـرة فقـيرة. كان أبوه عاملاً بسـيطاً لا يحصل على لقمة العيش إلّا بشـّق الأنفس. تلقّى الدروس الأوّلية فى مسقط رأسـه حائزاً على شـهادة الإجازة فى كلّية الآداب بجامعة تبريـز فى اللغة الإنجليزية. الحـبّ الطاغى الّـذى كان يجرى فى عروقه للغة الأمّ حمَله علـى الاهتمام البالغ باللغة التركية حيث نشـر مقـالات فى المجلات يطرح فيها آراءه ووجهـات نظره حول اللغة التركية كما قام بنقد الكتب الّتى كتبت حول هذه اللغة.

زد على ذلك أنّه ترجم كتباً عدّة من التركية إلى الفارسية. أهمّ الأفكار الّتى تحويها كتبـه المترجمـة تكاد تدور حول الإيثـار والتّضحية والعمل المخلـص من أجل مصالح الآخريـن. ألّف بهرنگى كتباً تنطوى على تجاربه الفذّة ونقده اللّاذع. فتكون آثاره مرآة صافية تعكس آلامه ومعاناته.

مـن أهمّ آثاره: كند و كاو در مسـائل تربيتى ايران (بحث فى الشـؤون التربوية فى إيران)، مثلها و چيسـتانها (الأمثال والألغاز)، شتر و روباه (الإبل والثعلب)، شاهزاده حلوا فروش (الأميرة البائعة للحلوا)، و ماهى سياه كوچولو (السّمكة الصغيرة السوداء)، وكما يبدو أنّ بهرنگى استخدم فى معظم كتبه لغة القصّة آخذاً قصصه من الثقافة الشعبية إلّا أنّه أضفى عليها طابعاً من الرومنسـّية ومنحها الروح العصرية وجعلها قيثارة يعزف بها أغانى يحبّها شعبه بحيث إنّ القارئ الإيرانى يرى فى آثاره تجسيداً لآماله وطموحاته وأحلامه ويلمس فيها صدىً لآلامه وهمومه ومأساته. (خزائل، ١٣٨٦ش: ١/ ٩٢٣).

مات كاتبنا سنة ١٣٤٧ هـ ش غرقاً فى نهر "أرس" ودفن فى تبريز. مازالت الشكوك والغموض تحوم حول موته وملابسـاته. إذ ثمّة شواهد وقرائن تدّل على أنّه تمّ غرقه فى المـاء وممّا يعزّز هذه الفرضية أنّه كان يناوئ نظام الشـاه المقبور بآثاره الّتى كان يدعو فيهـا إلى المطالبة بالحرّيات السياسـية والمدنية. فليس من المسـتبعد أن يكون النظام قد اسـتخدم عمّاله لغرقه وإخماد صوته شـأن الأنظمة الدّكتاتورية الّتى لا تحتمل سماع الأصوات المناوئة. (ميرصادقى، ١٣٨٣ش: ١٠٣)

٤- نبذة عن القصّة وأبطالها

تناولت القصّة وبأسلوب رمزى خيالى حياة سمكة صغيرة سوداء تعيش مع أسرتها فى بركة صغيرة عيشة مملّة لا تجد فيها فسحة تتجوّل فيها. فسرعان ما سئمت حياتها الضيّقة وناشدت أمّها ملحّة أن تسمح لها بالبحث عن البحر حيث تكون الحياة فيه أوسع وأرحب. ولكن رفضت الأمّ مطلبها رفضاً قاطعاً خوفاً على حياتها. إلّا أنّ روح المغامرة الّتى يتحلّى بها بطل قصّتنا وشدّة حنينه لرؤية العوالم الجديدة شجّعته على القيام بالرحلة رغم مخالفة الأمّ والكثير من الأسماك الأخرى إيّاه. تبدأ الرحلة وتواجه السمكة المغامرة المزيد من الأحداث والأشخاص الّتى تؤثّر سلباً أو إيجاباً فى مصيرها وتفتح أمامها آفاقاً جديدة من الحياة. تتمكّن سمكة قصّتنا من تحقيق أملها فى نهاية المطاف حيث تجد البحر وتتمتّع من العيش فى رحابه الواسع بعد أن تتجاوز كافّة الحواجز والعراقيل بالحكمة والشجاعة والصمود والمقاومة. بما أنّنا سوف نذكر تفاصيل القصّة ودراستها لذا اكتفينا هنا بذكر خلاصة القصّة. وأمّا بالنسبة لأبطال القصّة فأهمّ وأبرز الأدوار تتعلّق بالسمكة السوداء التى تضطلع بدور البطل الرئيسى والتى تدور حولها معظم وقائع القصّة وأحداثها. ثمّ أمّ السمكة وهى تمتلك شخصية محافظة تكره المغامرة ولذلك بذلت ما فى وسعها لمنع السمكة السوداء التى تفيض بروح المغامرة والمجازفة. ولأمّ السمكة دور كبير فى إثارة حماس سائر الأسماك ضدّ الحلزونة التى تنفخ روح البطولة فى الأسماك الصغار للقيام بالرحلة برفقة السمكة السوداء الصغيرة. ثمّ السرطان وهو الكائن الذى يعانى من الخيلاء والنرجسية ولا يتوانى جهداً فى الازدراء بالأسماك الصغار وزرعِ الخوف فيها والبطل الآخر هو الحلزونة التى تُسدى للسمكة السوداء بنصائح قيّمة وتوصيات حكيمة يستفيد منها بطل القصّة أثناء رحلته المحفوفة بالأخطار. وأمّا أكثر الأدوار سلبياً يتعلّق بالبجعة وهو الطائر الذى يفرّق بين الأسماك بمختلف الدسائس وشتّى الحيل حتّى يتمّكن من تناول الأسماك الصغار ولا ينجو من مؤامرته القذرة سوى السمكة السوداء الصغيرة التى تتمتّع بالذكاء واليقظة والدّهاء.

٥- أسباب توظيف بهرنگی للتمثيل

قد تختلف الدلالة الرمزية للأشياء باختلاف البيئات والثقافات. خذ علامة الصليب مثالاً «فإنّها علامة رمزية لما يحمله المسيحيون ويقدّسونه حيث يذكّرهم بالآلة الّتی صُلب عليه النبیّ عيسی (ع) إلّا أنّ العلامة نفسها ترمز فی أجواء غير مسيحية إلی مفترق الطرق.» (لاج، ١٣٨٨ش: ٢٤١)

أو كما قال البعض «إنّ التمثيل هو عبارة عن آلية بيانية تستمدّ من الرموز للتعبير عن المعانی بأسلوب غير مباشر وفق ما تستدعيه الحاجة.» (شريفيان و دار بيدی، ١٣٨٦ش: ٦١)

ربّما أهمّ ميزة تمتاز بها قصّة بهرنگی توظيف الكاتب للرموز التمثيلية فيها بحيث إنّ القصّة تأخذ فی نسيجها العامّ طابعاً رمزياً. (مير صادقی، ١٣٨٧ش: ٤٠٠) لقد بلغت القصّة فی بعدها الرمزی غايتها فإنّها تجسّد المعانی أمام ناظرَی القارئ بشكلٍ يستطيع أن يراها كما يری الأشياء علی أرض الواقع.

يتحقّق التمثيل عندمايتجاوز الكاتب أو الشاعر مستوی المباشرة وارتقی بالنّص إلی مستوی الرّمز والألغاز.

«تتكوّن آلية التمثيل من وَجهين: وجه ظاهرٌ للقارئ مصحوب بالرمز ووجه خفیّ يرمز إليه الوجه الظاهر.» (المصدر نفسه: ٣٩٨) فالوجه الظاهر يحثّ القارئ علی العمل الذهنی الجادّ لحلّ الرمز وفک الألغاز عنه ومن ثمّ استجلاء الأفكار الّتی أودعها الكاتب أثناء الرمز وممّا يساعد القارئ علی جولة استكشافية فی أروقة الرمز هو الشعور بالجاذبية الفنية والمتعة الأدبية الّتی يجدها داخل النصّ.

يمكن تفسير آلية التمثيل بأنّها محاولة أدبية ممتعة لتحويل المفاهيم الذهنية إلی صور حيّة محسوسة أمام عيون القارئين. (پورنامداريان، ١٣٨٩ش: ٢٢٧) وأمّا فيما يتعلّق بقصّة "السّمكة الصغيرة السوداء" للكاتب الإيرانی الشهير صمد بهرنگی، نستطيع القول بأنّ الكاتب استخدم فيها آلية التمثيل بأقصی درجة من الروعة والنجاح. وكذلک أضفی عليها طابع الرمز. تساهم رمزية القصّة فی تشجيع القارئ للبحث عن المعانی المقصود بها. قصّة بهرنگی لا تشّجع القارئ علی فهم أسرارها فحسب بل تجعله أيضاً

يتمتّع بالقصّة لما يجد فيها من متعة فنيّة وذوق أدبى رفيع.

ممّا زاد من إقبال القارئين على القصّة أنّها تحتوى على صلات وطيدة تربطها بأرض الواقع، بحيث لا يحسّ القارئ أثناء قرائته للقصّة أنّها قصّة خرافية وهمية بعيدة عمّا يجرى فى ساحة الحياة.

«تثير قصّة بهرنگى فضول القارئ وتفعل بها مثلما تفعله الأحجار بالمياه الراكدة من إثارة الأمواج المتلاطمة فيها.» (نصرت زادگان، ١٣٨٦ش: ١٧٩) إلّا أنّ قصّة بهرنگى لا تترک أذهان قارئيها ضائعة متسكّعة وسط متاهات الرمز بل تعطيها الشعور بالاطمئنان والسكون شأن السفينة الّتى تتقاذفها الأمواج الهوج وتضربها الرياح السود ولكن يقودها ربّانها بعزيمة وثبات إلى ساحل البرّ والأمان. ممّا يساند القارئ على فهم القصّة واستيعابها أنّه يجد بين الصّور الرمزية فى القصّة وحياته الواقعية أوجه التشابه تضفى على القصّة صبغة واقعيّة لا تتنافى مع أجواءها الرومنسيّة لأنّه كما مرّ سابقاً أنّ رومنسيّة بهرنگى أخذت جذورها من الواقعية. (شيرى، ١٣٨٢ش: ٢٠)

لا يقوم الأديب باستخدام التمثيل فى نصّه الأدبى إلّا عن وعى وإرادة بغضّ النظر عن البواعث الّتى تقف وراء القصّة من الآمال والآلام. والسّبب فى ذلک يكمن فى أنّ عملية التمثيل هى: «عملية فنيّة معقّدة لا تتمّ إلّا بعد أن أطلق الأديب فكره وخياله فى عالم الرموز لاقتناص ما يرمز به إلى ما يدور فى خَلَده فى نطاق قصصى رائق.» (عباسى، ١٣٩٠ش: ١٤٩)

بناءً على ذلک أنّ عملية التمثيل الرمزى هى عبارة عن اختيار الرموز الّتى توحيها أفكار الأديب فى منظومة دلالية متماسكة فسيفسائية.

العناصر الّتى حشدها بهرنگى فى حبكة القصّة تلعب دورها فى إعطاء صورة واضحة عن فكرة الكاتب للقارئين ما يدلّ على براعة الكاتب فى تصميم القصّة ومهارته. نستنتج أيضاً ممّا سبق أنّ بهرنگى كان يتمتّع برؤية واضحة لا يشوبها الغموض وخير دليل على ذلک قدرته على خلق قصّة ناجحة مثيرة. والنجاح الّذى حقّقه بهرنگى فى تصميم قصّة السّمكة جعل النقّاد يعتقدون أنّ فكرة القصّة نابعة من شعور واع ومنفتح لدى الكاتب. فلذلک قال أصحاب فنّ القصّة: «إنّ التمثيل الناجح هو ترجمة رمزية

لشعور الأديب الواعى.» (پورنامداريان، ١٣٨٩ش: ٢٣٥)

يجب أن لا يغيب عن بالنا دور الخيال والإبداع فى نشوء القصّة وبخاصّة التمثيلية منها إلّا أنّه يجب الأخذ بنظر الاعتبار أنّ للقصّة علاقة بما يجرى فى حياة الأديب القاصّ. يمكن القول إنّ ثمّة علاقة عضوية بين الجانب التمثيلى من القصّة والواقع الّذى يعيشه بحيث لا يمكن فهم أحدهما بمنأى عن الآخر وقد ذهب البعض أبعد من ذلك حيث قال «إنّ الواقع يعدّ مصدر إلهام وإبداع لا بدّ منهما فى عملية القصّ.» (شميسا، ١٣٨٩ش: ٢٦٣)كما ذهب بعض آخر إلى أنّه «لا يمكن للقارئ فهم القصّة والإلمام بدقائقها وخباياها من دون الوقوف على الواقع الذى عاشه الكاتب.» (المصدر نفسه: ٢٦٥)

من هذا المنظار لو تتبّعنا قصّة بهرنگى لَوجدنا فيها احتكاك الرمز بالواقع. فالقارئ للقصّة يتوسّم بذوقه السليم أنّ الشخصيات والأشياء لا تحمل معناها الحقيقى بل ترمز إلى أشخاص وأفكار يريد الكاتب التعبير عنها فى ظلّ آلية التمثيل.

الرموز الّتى استدعاها بهرنگى فى قصّته باتت ترتبط بعضها ببعض فى منظومة متشابكة رائعة تمكّن القارئ من اختراق الرموز والتوغّل فى خضّم المعانى واستيعاب الطريقة الّتى يفكّر بها الكاتب. فى السياق نفسه يرى الناقدون «أنّ القارئ لقصّة بهرنگى لا يواجه صعوبة أو تعقيداً فى إزالة القشور والحصول على لباب المعنى نظراً إلى أنّ قصّته تسير وفقاً لخطة منطقية وتقوم على نظام مدروس متماسك الأجزاء.» (مير صادقى، ١٣٨٧ش: ١١٧) فلو ارتكب الكاتب أثناء كتابته للقصّة خطأً لانعكس سلباً على روعة التصميم أو نجاح التمثيل ممّا يؤدّى إلى «ضياع القارئ فى غياهب الرمز وتخبّطه فى عتمة الغموض». (المصدر نفسه) بناءً على ذلك اعتبر النقّاد التمثيل من أخطر المزالق الّتى يمكن أن ينزلق فيها الكتّاب أو الشعراء. ولذلك طالما أكّدوا على ضرورة اتّخاذ خطوات متمهّلة رصينة من قبل الكاتب لِيكون بمأمن عن الأخطاء الّتى تكمن له عبر عملية التمثيل. (لاج، ١٣٨٨ش: ١٢٧)

وممّا يساعدنا على فهم أسباب نزوع بهرنگى إلى آلية التمثيل أنّه كان يحمل أفكاراً مناوئة لنظام الشاه الإيرانى ويندّد بـ «سياساته الخاطئة الّتى أدّت إلى شيوع الفقر

وتفشّى الفساد وانتشـار المظالم فى ربوع الوطن.» (شهبازى، ١٣٧١ش: ٤١) فكان من المتوقع جدّاً أن يسـتغلّ بهرنگى ومن سـار على دربه لغة التمثيل للمواجهة مع نظام لا يتحمّل أدنى قدر من النقد ويعامل معارضيه بأقصى درجة من القسوة والعنف.

من الجدير ذكره أنّ بعـض الأخصّائين للآثار القصصية صنّفوا بهرنگى ضمن كتّاب المدرسـة الأذربيجنية. (شـيرى، ١٣٨٧ش، ٥٧) أنّ من أبرز ميزات هذه المدرسة شغف كتّابها لمحاكاة القصص الشعبية ذات تصميم بسيط. ممّا يؤيد ذلک خلوّ قصّة بهرنگى من الغمـوض الّذى يحول دون فهم القصّة واسـتيعابها. لقد صدق من قال: «إنّ التمثيل هو أسهل طريقة للتعبير عن المقصود وإقناع القارئين به.» (المصدر نفسه: ١٦٧)

لو أردنا تقييم قصّة بهرنگى من هذا المنظور نسـتطيع القول إنّ النمط الرمزى الّذى اختاره لقصّته ينسـجم مع غايته المنشـودة حيث تريد القصّة إزاحة القناع عن «النظام الملكـى الجائر الّذى ضيّق الخناق على الشـعب الإيرانى وحرمه من أبسـط حقوقه.» (شـهبازى، ١٣٧١ش: ١٦٦) علماً أنّه ليس من السـهل نقد الأنظمة الجائرة إلّا بطريقة التمثيل الرمزى على غرار ما فعله بهرنگى.

٦- تحليل القصّة على ضوء مدرسة التمثيل الرمزى

نسـتعرض فيما يلى أهمّ مواقف قصّة بهرنگى ونحاول دراسـتها على ضوء التمثيل الرمزى والرومنسية:

يمكن اعتبار السّـمكة السـوداء عنوانا رمزياً لحاجة الإنسـان الماسّة للبحث عن العوالم الجديدة لكن يقوم الإنسان غالباً ما إلى كبح رغبته الجامحة نحو الجديد لأسباب مختلفة من أبرزها الخوف من الوقوع فى المتاعب والمشـاكل. انظر كيف أعربت السمكة الصغيرة عن رغبتها فى الترحال مع أنّ أمّها منعتها من ذلک: «قالت السمكة: آه! يا أمّاه لقد سـئمت الحياة فى هذه البركة الضيّقة فها أنا مصمّمـة على تركها للبحث عن البحر الذى يزخـر بالعجائب والغرائب.» (بهرنگـى، ١٣٨٦ش: ٣٧٧) «ضحكت الأمّ قائلة: كانـت تراودنى أنا أيضاً هذه الأفكار عندما كنتُ صغـيرة يا عزيزتى ليس لهذه البركة بداية ولا نهاية فإنّها ماءٌ يجرى إلى ما لا نهاية له.» (المصدر نفسه)

ربّما ترمز البركة الضيّقة إلى كلّ بيئة تُقيّد عقول وأفكار أبناءها بحيث لا يستقرّ فيها ولا يطمئــنّ إليهــا إلّا كلّ من تأقلم مع ظروفها الخانقة كما هو حال الأسماك العالقة فى البركة. إذ لا تســمح البيئات الصغيرة لسكّانها بالانفتاح على العالم. فإنّها كما لو كانت مستنقعاً آسناً تخلو من الحياة والحركة.

تمثّل السّمكة فى القصّة شخصية تختلف عن شخصية الأمّ جملة وتفصيلاً لأنّها رغم أمّها استجابت حبّها الجامح لزيارة الآفاق الجديدة والتوسّع من مستوى وعيها وتفكيرها.

والمانع الآخر الّذى يحول دون انفتاح الإنســان على العــالم هو قلّة الاعتماد على الذات كما هو الحال فى جارٍ للسمكة حيث يقول لبطل القصّة بلهجة ساخرة:

«قال الجار للسمكة: أيّتها الصغيرة منذ متى أصبحتِ عالمةً وحكيمة ولم تخبرنا به؟!» (المصدر نفسه)

الرسالة الّتى تحملها إلينا المقتطفات السابقة هى أنّ الإنسان الّذى يفتقد الثقة بالنفس والجــرأة على المغامرة وركوب الأخطــار لن يكون قادراً على تنميــة قدراته وتفجير طاقاته ولن يكون له أثر فى حياة الآخرين كما أنّ أمّ الســمكة وجارها مثالان بارزان لمن لا يملكونقدراً كافياً من الشــجاعة والاعتماد على الذات للقيام بتحســين ظروفهم المعيشــية. بطل القصّة فى هذه القصّة يرمز إلى الإنســان الّذى يجعل التنقّل إلى مواطن جديــدة فرصة لتفجير طاقاته والتأثير على الآخرين ولا يهمّه ما خبّأ له الدّهر فى هذا المسار ولا تأخذه فى ذلک لومة لائم. ولذلک يقول بطل القصّة لجاره:

«الّذى يهمّنى هو أنّ حياتى أو موتى كيف يؤثّران فى حياة الآخرين.» (المصدر نفسه: ٣٩٧)

المقالة الّتى تفوَه بها الســمكة ترجمة حرفية لفكرة الكاتب ورؤيته تجاه الحياة والّتى تبلورت فى معظم آثاره. لقد وطّن بهرنگى نفسَــه على العمل من أجل تأصيل وترســيخ المعــانى الســامية فى دواخل النفوس كما كرّس حياته القصــيرة لدفع قارئ القصّة نحو مدينة الأحلام ألا وهى مدينة تزخر بالكرامة والحرية والسعادة.

جمعت حادثة رهيبة السّــمكة الســوداء مع مجموعة من الأسماک. فإنّ بجعةً التقطت السّــمكة مع رفاقها بمنقارها. ثمّ فكّرت البجعة فى مؤامرة تفرّق بها بين الأسماک العالقة

فی منقارها لتضعف قدراتها. ومهما سعت السّمكة للكشف عن نيّة البجعة المشئومة أخفقت جهودها:

خاطبت البجعة الأسماک قائلة:

«أصفح عنكم ولكن بشرط قالت الأسماک تفضّل بذكر الشرط سيّدنا، قالت البجعة: لو أسكتم هذه السّمكة الفضولية ستنالون الحرية.» (المصدر نفسه: ٣٩٣)

لم تأل السّمكة جهداً لتقويض ثقة الأسماک بالبجعة وإبطال مؤامرتها القذرة فقالت لها إنّ البجعة المحتالة تريد أن تفرّق صفوفكم وتوقع بينكم البغضاء والشقاق:

«تنحّت السّمكة السوداء قليلاً وهی تخاطب الأسماک: لا تثقوا بهذا الطائر الماكر فإنّه يريد أن يوقع بيننا العدوان والنزاع.»

إلّا أنّ الأسماک الصغيرة لم يهمّها شیء سوى التخلّص من منقار البجعة فأخذت تضرب السمكة السوداء مبرحاً. فانسحبت السّمكة قليلاً وهی تتمتم: يا أيّها الجبناء أنتم محبوسون فی فم الطائر شئتم أم أبيتم فلا تقدرون علیّ، فی هذه الأثناء قطع كلامها أحد الأسماک صائحاً فی وجهها: اخرس! لم نعد نطيق هذه الأحاديث. افتعلت السّمكة نزاعاً صوريّاً بينها وبين الأسماک فلم تلبث أن طرحت نفسها وتظاهرت وكأنّها ميّتة لعلّها تنقذ بهذه الحيلة الأسماک من سجن البجعة.»

لم تنجح حيلة السّمكة الصغيرة فی إفشال مؤامرة الطائر لأنّ الأسماک لم تكن على بصيرة من أمرها وأنّ الطائر عزم على ابتلاع الأسماک مهما كلّفه من ثمن:

«ضحک الطائر مخاطباً الأسماک: سأبتلع كلّكم أحياء كی تتفرّجوا فی أرجاء بطنی جزاءً لما فعلتم!» (المصدر نفسه: ٥٩٣)

قد تكون الرسالة الّتی يريد الكاتب إرسالها إلى القارئ المتلقّی هی أنّ الوفاق والوئام أمر لا يحصل فی أجواء تسودها حالات من الأنانيّة والأثرة والغفلة فمن المستحيل فی هذه الظروف العيش فی وحدة وتلاحم. والبجعة الّتی تحتال على الأسماک وتبتلعها كوجبة شهيّة له، عنوان رمزیّ لكلّ نظام استبدادی يطبّق مبدأ "فرّق تسُد" كی يحوّل الشعب شيعاً وأحزاباً تتنازع وتتنافس على مصالح وأطماع حزبية وشخصية

ضيّقة حتّى تفقد قدرتها وتذهب ريحها فى نزاعات وحروب متناحرة دامية. فتستأثر الحكومة دونما خوف أو قلق بثروات الشعب وخيراتهم وتجهز على كلّ من يقف فى وجهها بطريقة أو أخرى كما وجدنا فى بجعة القصّة.

الفكرة الرئيسية الّتى نستخلصها من خلال هذه المشاهد من القصّة هى أنّه لن يكون للإنسان تأثير فى حياة الآخرين إلّا إذا كان ذا فكر منفتح ورؤية شاملة واندمج مع أبناء المجتمع وعمل على لمّ الشمل ورأب الصدع ونبذ الفرقة والتشتّت. فلو كانت الأسماک تتمكّن من أن تفكّر فى مصالحها العامّة وسط أجواء من التّضامن والمواساة لمّا أصبحت وجبة سائغة للطائر الجشِع. وفى جهود السمكة المضنية لإيقاظ بنى نوعها من سبات الغفلة رسالة إلى الطبقة المثقّفة والمستنيرة للمجتمع لتقوم بنشر الوعى والثقافة واليقظة بين أبناء الشعب وتزويدهم بالعلم والبصيرة يحبطون بها المخطّطات الّتى تستهدف أموالهم وأنفسهم وأرضهم وديارهم. إلّا أنّ عملية التنوير وزرع الآمال فى ربوع المجتمع الّذى يغطّ فى سبات عميق بحاجة إلى المزيد من الجهد المخلص والمتّسع من الزّمن.

بناءً على هذا أنّه يمكن اعتبار السّمكة فى قصّة بهرنگى بأنّها عنوان رمزى لكلّ من يناضل من أجل الوصول إلى حياة أفضل ومستقبل وادع.

كما تستحقّ أيضاً أن تكون مثالاً للجيل القادم الزّاخر بالإبداع والدّيناميكيّة نظراً لحداثتها وصغرها وربّما سوادها يعبّر عن الطبقة المنكوبة والمهمّشة من أبناء المجتمع. (نصرت زادگان، ١٣٨٧: ١٩٤)

مهما يكن من أمر فإنّ السّمكة تمثّل بطلاً يحرص على هدفه بإلحاح دون أن يكترث بالأخطار الّتى يواجهها فى سبيل ذلک:

«قالت السّمكة الصغيرة السوداء لأمّها: ربّما تظنّ أنّه قد علّمنى أحدٌ هذه الأحاديث ولكن يجب أن تعرف بأنّ هذه الفكرة تساورنى منذ زمن بعيد جدّاً فإنّنى عرفت أنّ معظم الأسماک عندما تتقدّم فى السنّ تشكو مِن أنّها ضيّعت فرصة حياتها وسحابة عمرها دون جدوى.» (بهرنگى، ١٣٨٦ش: ٣٧٨)

كما أنّ أمّها تمثّل إنساناً ذا رؤية ضيّقة وفكرة قاصرة وأقام جداراً منيعاً بينه وبين ما هو خارج عن نفسه وفى ذلک يكمن السبّب فى أنّها تمنع السمكة من الانطلاق وراء

أمانيها والكشف عن عالم واسع طليق يواكب رغباتها وطموحاتها. فبالرغم من أنّ الأمّ لا تفكّر إلّا فى مصالح الأولاد ولا تريد إلّا ما يجلب لهم السعادة والنجاح إلّا أنّ القصور فى التفكير قد يجعلها عاجزة عن تشخيص ما يحقّق لأولادها حياة سعيدة كريمة ولذلک منعت أمّ السمكة بطل قصتنا عن الرحلة والمخاطرة بحياته لنيل غاياته المنشودة؛ ويرى بهرنگى أنّه يجب على الجيل الجديد عدم القبول بمطالب الوالدين الداعية إلى الاستسلام أمام الواقع وعدم التطلع إلى ما هو المرتجى. فنراه أنّه يشجّع الأولاد على التمرد والعصيان على كلّ ما يقيّد طاقاتهم الكامنة ومواهبهم الثمينة ولكن بالطريقة الّتى لا يسيئون بها إلى أحد من ذويهم مثلما فعلته السمكة السوداء بأمّها فإنّها بذلت قصارى جهدها لإقناعها لكى تسمح لها بمغادرة البيت والبحث وراء البحار عن آفاق جديدة مواتية لميولها وأوطارها:

«لمّا رأت السّمكة أنّ جهودها فى إقناع أمّها باءت بالفشل وأنّ أمّها رفضت مطلبها التزمت الصمت إلّا أنّها سهرت ليلتها على فكرة القيام بالرحلة إلى عالم جديد فى الغد.» (المصدر نفسه: ٣٩١)

وأمّا السرطان فإنّه يرمز إلى الإنسان الّذى يتخيّل نفسه حكيماً حتّى يذهب أخيراً ضحيّة رؤيته الخاطئة:

«قال السرطان إنّ هذه الضّفادع تعتبر نفسها دون غيرها سعيدة وأريد أن أثبت لها أنّ السعيد من هو!» (المصدر نفسه: ٣٨٥ -٣٨٦)

المصير المؤلم الّذى أدّت إليه حياة السرطان هى رمزٌ لكلّ من يفتقد رؤية واضحة حقيقية لنفسه ومكانته وقدراته.

«تعرّض السرطان لضربة قاضية من قبل الراعى أودت بحياتها.» (المصدر نفسه: ٣٨٦)

الرسالة الّتى تحملها حياة السرطان إلى القارئ هى أنّ البقاء فى هذا العالم الّذى تكتنفه الأخطار يحتّم على الإنسان أن يتزوّد بكلّ ما يحتاجه لمواكبة الحياة من القدرات المادية والمعنوية. فسرطان قصّتنا لو كانت تمتلک رؤية صحيحة واقعية لنفسها وقدراتها لم تسقط فى هاوية الموت والهلاک.

إذاً بـات واضحـاً أنّ قصّة بهرنگی تعتبر بمجملها قصّة تمثيلية حيث إنّ سمكة صغيرة تسـكن فی برکة متواضعة ثمّ تغادرها بعد أن تسـأم البقاء فيها بحثاً عـن نهايتها لكنّها تواجه فی مغامرتها مشـاكل تتجاوزها بحكمـة وحنكة حتّی تصل فی نهاية المطاف إلی شاطئ البرّ والأمان.

فالسّـمكة رمزٌ فی لغة التمثيل للإنسـان الّذی يتصارع فی معـترک الحياة مع المزيد مـن الصعوبات طلباً للوصول إلی مبتغاه وهو البحر الّذی يرمز بدوره إلی المتّسـع من الحريات. وبإمكاننا أن نقول أيضاً «إنّ السّمكة تمثّل إنساناً كادحاً يحلم بالحياة الكريمة بعد أن تبرّم بحياتها البائسة.» (ميرعابدينی، ١٣٨٧ش: ٤٣٧)

تبدأ السّـمكة رحلتها من البركة أملاً فی الوصول إلی البحر الّذی يمثّل أحلامها كلّها إلّا أنّها لا تريد بالرحلة الفرار من الواقع والتخلّی عن مسـؤولياتها تجاه الحياة. فكما أسلفنا سابقاً أنّ رومنسيّة بهرنگی بُنيت علی الواقعية حيث إنّها تحفز أتباعها علی تغيير الحياة ونمط العيش فيها.

الحماس الّذی تبديه السّمكة لتحسين ظروف الحياة تعطينا القناعة بأنّ قصّة بهرنگی تقوم علی نظرة معرفية تولی الحياة الواقعية اهتماماً بالغاً بشكل لا يدع مجالاً للشكّ.

تبدأ السّـمكة جولتها الخطيرة وهی كائن غَرير عديم الخبرة وقليل التجربة وتنتهی منها وهو مستبصر قد حصلت علی تجارب ثمينة. والرمزية التی نستجليها من خلال ذلک هی أنّ شخصية الإنسان لا تنضج ولا تكتمل إلّا إذا انصهرت فی أتون المشاكل وخاض غمرات الحياة وشـدائدها. والمحطّات الصعبة الّتی تمرّ بها السّمكة عبر رحلتها لهی خير دليل علی ذلک. (المصدر نفسه: ٥٤٥)

البركـة فی القصّة ترمز إلی بيئـة صغيرة متواضعة. الحياة الحقيرة جعلت السّـمكة السـوداء تنظر إلی العالم نظرة ازدراء واسـتهجان كما أنّ الإنسان الّذی نشأ وترعرع فی بيئة صغيرة يحمل عادةً رؤىً ضيّقة قاصرة. والأمر لا ينحصر فی السّـمكة السـوداء بل يشـمل الأسماک كلّها بما فيها أمّ السّمكة السـوداء. إلّا أنّ السّمكة السوداء أخذت قرارها الحاسـن علی تغيير حياتها إذلم تعد تروقها فعزمت علی اجتيازها للوصول إلی بيئة واسـعة مترامية الأطراف «فما إن وصلت السّـمكة البحر حتی تحوّلت إلی كائن

رحب الصدر واسع التفكير ما جعلها تضحّى بنفسها لإنقاذ الأسماک من مأساتها.» (عباسی، ١٣٩٠ش: ١٦٠)

أمّا الحلزونة فی القصّة فإنّها ذات دلالة رمزية إذ إنّها تمثّل إنساناً حكيماً ينشر الوعی والثقافة بين أبناء بيئته. فقد بذلت الحلزونة فی القصّة ما فی وسعها لتوعية السّمكة الصغيرة السوداء بحقارة العيش الّتی اعتادتها. تمكّنت الحلزونة الحكيمة أخيراً من تزويد السّمكة الصغيرة بالوعی واليقظة تجاه حياتها المؤلمة. ولكنّها أخفقت جهودها بالنسبة إلى سائر الأسماک. ظلّت أمّ السّمكة وجاراتها تكره الحلزونة فحملتها مشاعر الكراهية علی قتل الحلزونة الحكيمة كی لا تؤثّر أفكارها فی الأسماک الصغيرة فتشجّعها علی مغادرة بيتها وأسرتها. من منظار آخر تمثّل الحلزونة مصدر إلهام وحيد للأسماک الصغار تغرس فيها حبّ المغامرة والطموح .فاغتالتها الأسماک الكبار لا لشیء سوی لأنّها تعوّدت علی العيش فی بيئة منعزلة مغلقة بعيدة عن أيّة مغامرة. تمثّل الحلزونة فی القصّة الشخصيات القيادية الّتی تتحمّل أعباء القيام بتنوير الأفكار وتوعية العقول لأداء المهام فی عالمنا الراهن لا يمكننا تخيّل الحجم الكبير من الأهميّة والحسّاسية الّتی تحظی بها مسئولية الحلزونة إلّا إذا أخذنا بعين الإعتبار صعوبة تطوير وتحديث الأوساط التقليدية والمتخلفة. مثل الحلزونة فی الحقيقة مثل الإنسان الّذی يريد أن يسبح بالاتّجاه المعاكس للبحر حيث يواجه فی مسيرته الأمواج الضخمة الهائلة الّتی تعيق مسيره فلا يصعب علی أحد تخيّل خطورة الظروف التی يمرّ بها. كذلک حاولت الحلزونة الحكيمة إقلاع جذور الخوف من داخل النفوس وزرع بذور الشجاعة والطموح. مكانها ولكنّها لم تلق دعوتها آذاناً صاغية حيث ارتطمت جهوده بصخور التعّنت والعتوّ. فكان عاقبة أمرها أن تواطأت ضدّها أبناء البركة و صبّت عليها كؤوس الشقاء والمرارة. وهكذا راحت الحلزونة ضحيّة قضيّتها التوعوية فی البيئة الّتی تعيش فيها وأغلقت أبوابها علی أیّ تغيير فی نمط الحياة. والرمزية الّتی تحملها حياة الحلزونة هی «أنّ البيئات الصغيرة والضيّقة تقتل روح الطموح والمغامرة» (پورنامداريان، ١٣٨٩ش: ١٨٧)، فی أبنائها بحيث إنّهم يتخيّلون حياتهم حياة مثالية راقية فی الحال أنّها أشبه ما يكون بنفق مظلم لا يوجد فی نهايته بصيص من نور الأمل.

٧- جذور الصلة بين القصّة وبيئة الكاتب

لقد أسلفنا أنّ بين قصّة بهرنگی والبيئة الّتی عاشها جذورٌ حقيقية نلمسها خلال تتبّعنا للقصّة. فالقصّة مولود رضيع خرج من رحم البيئة وتغذّى من ثديها فليس من قبيل المبالغة أن نقول بأنّ القصّة بمجملها ترجمة رمزيّة للأحداث والشخصيات الّتی شهدتها الساحة فی الآونة الّتی يحكم فيها الشاه الإيرانی وجلاوزته بالنّار والحديد. وممّا يؤيّد هذه النظرية ما قاله بعض الناقدين للقصّة حيث قال: «القصّة لا تكتب فی الفراغ.» (لاج، ١٣٨٨ش: ٦٤)

تذكّرنا القصّة بالظروف التی كان يعيشها كاتب القصّة بهرنگی أيّام حكم الشاه البائد.إذ إنّ القصّة رغم قصر حجمها تحتوی على دلالات تعكس وبطريقة رمزية المجتمع الإيرانی الرازح تحت الحكم الملكی المتغطرس. حاول النظام الملكی الجائر على غرار ما فعلته البجعة فی قصّتنا عبر حملة إعلامية ودعائية إقناع آحاد الشعب بأنّ بلدهم إيران خير بلدٍ فی العالم حيث ينعم بالأمن والرخاء ويتمتّع شعبه بالحرية والعيش الكريم. لكن الجهود المكثّفة الّتی بذلها النظام الملكی الساقط لم تؤت أُكلها فی حشد دعم وحماية الشعب سوى أولئک الّذين تعرّضوا لعمليّة غسل الدماغ عبر سنیّ حكم الشاه. والذی يمثّل دور المتحمّسين على النظام المقبور هو أمّ السمكة السوداء وكلّ من شاطرها فی منع الأسماک الشابّة من انتهاج نهج جديد فی الحياة. ثمّ إنّ السرطان فإنّه يؤدّی دور المثقّفين والمفكّرين الذين ناهضوا حكم الشاه الدّكتاتوری ولكن بطريقة خاطئة. حيث إنّهم انعزلوا عن الجماهير ومارسوا الأساليب التی لم تكن قادرة على التأثير فی أذهان الشعوب وبخاصّة الشباب منها، ولذا استطاع الشاه القضاء عليهم بالإعدام والسجن والنفی وغير ذلک من سُبُل الكبت والقمع والتنكيل. أمّا السّمكة السوداء فإنّها تجسيد تامٌ وتمثيلٌ واضح عن الشباب الذين طالبوا بالحقوق التی حُرِموا منها من الحرّية وحقّ التعبير لكنّهم وجدوا الطريقة مليئة بالمخاطر والتحدّيات. لم تقف مأساة أبناء الثورة عند هذا الحدّ إذ إنّ النظام الغاشم حرص على تمزيق صفوف الشعب وشقّ عصا الأمّة مستخدماً فی ذلک أنواع الحيل وأساليب الخداع ممّا أدّی إلى فصل وإبعاد الشخصيات المتيقّظة والمستنيرة عن أبناء الشعب وغياب روح الوعی

الجماعى عن المجتمع. والشـخصية الّتى تحمل رسالة تنوير العقول فى قصّة بهرنگى هى الحلزونـة الّتى بذلـت جهداً حثيثاً لإثارة الأسماک على الظـروف المزرية المخيّمة على بيئتها وتحويلها إلى مكان تسوده مظاهر الوعى والصحوة والأمل. يمكن القول بأنّ قصّة بهرنگى هى نسـخة صغيرة ومقتضبة عن حياة الشعب الإيرانى زمن الحكم السابق. إذ بإمكان القارئ رصد ملامح تلک الحقبة السـوداء برمّتها داخل القصّة بأسلوب تمثيلى. وهنـاک مماثلة واضحة بين نهاية القصّة ومصير الشـعب الإيـرانى الثائر فكما نجحت السّـمكة السـوداء فى الوصول إلى غايتها المنشودة نجح شـعبنا الواعى فى طىّ صفحة النظـام الملكى المكفهـرة وفتح صفحة جديدة بيضاء ناصعة بإقامـة نظام يحترم لأبنائه الحرية والكرامة والعيش السعيد.

٨- رومنسيّة قصّة بهرنگى

يبدو أنّ قصّة بهرنگى تنحاز إلى المدرسـة الرومنسـيّة ولكن ليس تلک الرومنسيّة الّـتى تدعو إلى الفرار من المسـئولية والانطلاق وراء الإباحيـة والخلاعة. إلّا أنّه من المؤكّد أنّ القصّة تحمل بصمات رومنسـّية فى كثير من مواقفها بحيث يستنشق من القصّة عبق الرومنسيّة حينما تدعو بنبرة عالية إلى حرّية التفكير فى إطار الشعور بالمسؤولية. «إذ يحترم الرومنسـيون حرّية التفكير والشعور دون قيد أو شرط.» (ميرصادقى: ٤٢٢) والرحلة الّتى تقوم بها السّـمكة السوداء رغم الأخطار المحدقة بها لا يمكن تفسيرها إلّا فى ضوء الرؤية الرومنسـيّة الّتى تشـيد بالجهود الرامية إلى العثـور على الحرية. الميزة الأخرى الّتى تتميّز بها الرومنسـّية «أنّها ترى الحياة برؤية مثالية فلا يرضى الواقع بل يتطلّع إلى ما هو المرتجى وما هو مدينة الأحلام.» (واحد، ١٣٨٤ش: ٢١١ – ٢١٢)

كذلـک الحـال فى قصّة بهرنگى إلّا أنّ السّـمكة لا ينطلـق وراء آمالها وأمانيها فى عـالم الخيال بل تبحـث عن تحقيقها فى الحياة الواقعية علماً بـأنّ القضية الّتى تتوخّاها السّـمكة قضية جماعية تشـاركها فيها الأسماک برمّتها. «يعبر الأديب الرومنسى أهمّية قصوى لآماله وتطلّعاته معتبراً الحبّ مصدر إلهام للفنّ ومبعث أمل فى الحياة.» (محسنى، ١٣٨٣ش: ٥٦)

نجـد للحبّ صـدىً واضحاً فى قصّة بهرنگـى فالحبّ هو الّذى يحفّز السّـمكة على الكشف عن عوالم جديدة والتأثير فى حياة بنى جلدتها فبدون الحبّ لا مغزى للحياة فى الرؤية الرومنسـيّة. والميزة الثالثة الّتى تتميّز بها رومنسيّة بهرنگى هى الصمود والمثابرة على متابعة الأهداف وبذل الغالى والنفيس دونها نظراً لِما يتركه الطموح والرؤية المثالية فى حياة الفرد والمجتمع من آثار إيجابية بنّاءة.

وفى قصّة بهرنگى نجد السّمكة يتابع أهدافها بإرادة لا تُقهر والمصائب الّتى تمرّ بها فى رحلتها الاكتشافية لا تزيدها إلّا قوة وعزيمة للفوز بالأحلام.

النتائج

١- يمكن اعتبار قصّة «السّـمكة الصغيرة السـوداء» لصمـد بهرنگى بمجملها قصّة تمثيلية طافحة بدلالات رمزية.

٢- تنتمى القصّة فى أحوالها و مبادئها إلى المدرسـة الرومنسيّة إلّا أنّ قصّة بهرنگى تجـرى فى نطـاق الحياة الواقعية بحيـث لا تنقطع صلة القصّة عن الواقع طالما كرّسـت السّمكة حياتها لبلوغ مآربها وجنى ثمارها على أرض الواقع.

٣- ترمـى القصّة إلى حثّ القارئ على العمل على إصلاح وتحسـين الواقع الّذى يعيشه.

٤- الأخطار الّتى واجهتها السّـمكة السـوداء عبر رحلتها تستحثّ الهمم وتستثير العزائم على الصراع ضدّ الحياة البائسة والبيئة الضيّقة الّتى يعيشها المخاطب المتلقّى.

٥- الرحلة الّتى تقوم بها السّمكة الصغيرة السوداء صورة رمزية عن السير نحو حياة أفضل وغد مشرق بعد تجاوز الصعاب واجتياز العوائق.

٦- هذه القصّة بكلّ ما فيها من عناصر رمزية تجسـيد رائع لسـفرة جريئة شجاعة يقوم بها إنسـان اشمئزّ من رتابة الحياة وسـكونها ويطمح إلـى حياة تنبض بالحيوية و الدّيناميكيّة.

٧- تحمل القصّة رغم صغر حجمها دلالات متنوّعة على مختلف الأصعدة السياسـية والاجتماعية والأخلاقية من أبرزها: السعى والانطلاق وراء الحياة المفعمة بالانفتاح و

الحرّية والحماس.

٨- من أهمّ الدروس الّتی نستخلصها من القصّة هی أنّ الطریق الّذی یوصلنا إلی الحرّیة والحیاة الکریمة لا یخلو من التحدّیات والمطبّات الّتی لا یتمّ اجتیازها إلّا بالتحّلی بالصبر والحکمة والعمل بنصائح المصلحین المشفقین الّذین ینشرون العلم والوعی بإخلاص وجهد کنبراس یضیء الدرب للسائرین علیه.

٩- تحمل قصّة بهرنگی بصمات رومنسیّة من الاحترام بالحرّیة والتطلّع إلی الحیاة المثالیة والانطلاق وراء الغایات المنشودة والأهداف النبیلة والدّعوة إلی الشعور بالمسئولیة.

١٠- رومنسیّة قصّة بهرنگی لا تحید عن عالم الواقع والعمل الجادّ والدّؤوب لنیل الأهداف والآمال بل إنّها تجری علی أرض الواقع وتمسّ الحیاة الواقعیة وخیر دلیل علی ذلک أنّ القارئ یتماشی مع أحداث القصّة ویتعاطف مع بطل القصّة ویشعر أنّه صورة رمزیة تمثیلیة عمّا عاشه هو فی الحیاة الواقعیّة.

المصادر والمراجع

بهرنگی، صمد. (١٣٨٦ش). قصه‌های بهرنگ. تهران: مطبعة سرایش.

پورنامداریان، تقی. (١٣٨٩ش). رمز و داستانهای رمزی در ادب فارسی. تهران: مطبعة علمی و فرهنگی.

خزائل، حسن. (١٣٨٦ش). فرهنگ ادبیات جهان. ج ١. الطبعة الثانیة. مطبعة کلبه – دبیر.

شریفیان، مهدی. داربیدی. یوسف. (١٣٨٦ش). «بررسی سمبلهای سیب،کبوتر، گل سرخ و نیلوفر در اشعار سهراب سپهری». نشریه دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه شهید باهنر. دوره جدید. شماره ٢١. (پیاپی ١٨).

شهبازی، عبدالله. (١٣٧١ش). ظهور وسقوط سلطنت پهلوی (به روایت تیمسار حسین فردوست). ناشر: مؤسسه اطلاعات.

شمیسا، سیروس. (١٣٨٩ش). نقد ادبی. تهران: مطبعة مرکز.

شیری، قهرمان. (١٣٨٧ش). مکتبهای داستان نویسی در ایران. تهران: مطبعة چشمه.

ـــــــ (١٣٨٢ش). «پیش درآمدی بر مکتبهای داستان نویسی در ادبیات معاصر ایران». مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی تبریز. ش ١٨٩. صص ١٤٩- ١٩٠.

عباسی، علی. یارمند. هانیه. (١٣٩٠ش). «عبور از مربع معنایی به مرغ تنشی، (بررسی نشانه – معنا

شـناختی ماهی سـیاه کوچولو)». پژوهشـهای زبان و ادبیات تطبیقی. د ۲، ش ۳. پیاپی ۱۷. پاییز. صص ۱٤۷– ۱۷۲.

لاج، دیوید. (۱۳۸۸ش). هنر داستان نویسی. الطبعة الأولی. تهران: مطبعة نی.

محسـنی، احمد. (۱۳۸۳ش). «مکتبهای ادبی در رمانهای دولـت آبادی، (نگاهی نو به کلیدر و جای خالی سلوچ)». آموزش زبان و ادبیات فارسی. ش ۵۵. صص ۵۲– ۵۹.

میر عابدینی، حسن. (۱۳۸۷ش). صد سال داستان نویسی ایران. ج ۱ و ۲. تهران: مطبعة سخن.

میر صادقی، جمال. (۱۳۸۷ش). راهنمای داستان نویسی. تهران: مطبعة سخن.

نصرت زادگان، نسـترن. (۱۳۸٦ش). «بررسی تطبیقی آثار صمد بهرنگی و شل سیلورستاین». مجله ادبیات تطبیقی. ش ٦. صص ۱۷۵– ۲۰۰.